تناقضات كثيفة لكن الحياة تستمر حتى بعد موت الأفراد

«الانتظار»: دراما أحياء السكن العشوائي

دمشق ـ «القدس العربي»

ـ من أنور بدر:

منذ سنوات كان الحديث عن مناطق السكن العشوائي وأحزمة الفقر والتخلف التي تلف العاصمة دمشق يعتبر خطاً أحمر، لكن مع تقدم الدراما السورية خارج تلك الخطوط الحمراء أصبحت مناطق السكن العشوائي تلك هي الأكثر جاذبية لصناع الدراما السورية، لأنها بالأساس تكثف تناقضات واشكالات المجتمع السوري بحرارة وعمق أشد، حتى أن هذا التلوين الدرامي استطاع أن يزيح دراما دمشق القديمة ـ ان صح التعبير ـ خاصة مع السقوط المدوي هذا العام لمسلسل «باب الحارة» الذي أخرجه بسام الملا ضمن مشروع خاص بدمشق القديمة، قدم من خلاله مسلسل «أيام شامية» و«ليالي الصالحية» بملاحظات أقل من عمله الأخير.

لقد نجحت المخرجة رشا شربتجي في هذه الدورة، باختراق أحياء السكن العشوائي بكل تناقضات سكانها وطموحاتهم المصاغة في مواجهة شرائح اجتماعية ونمط علاقات برجوازية مهيمنة في علاقاتها مع السلطة البيروقراطية. وهذه المسألة الأخيرة هي التي أعطت مسلسل «غزلان في غابة الذئاب» تميزه وشعبيته التي فاقت ما حظي به مسلسل «الانتظار» للمخرج الليث حجو الذي ذهب بكاميرته الرشيقة الى تلك الأحياء أيضا، ملتقطاً فيها تلوينات من النماذج البشرية قد تكون أغنى وأوسع من تلك التي التقطتها المخرجة رشا شربتجي، واضعاً تلك الأحياء الهامشية في مواجهة المدينة وعلاقاتها البرجوازية، ونمط حياتها الاستهلاكي، بعيداً عن أي مقاربة لمسألة السلطة الا من خلال شخصية رجل الشرطة «نضال سيجري» الذي ينتمي لهذه الحارة كما ينتمي الآخرون اليها، انتماءً من خلال التجمع المعاشي وما يخلقه من تناقضات وصراعات، وما يدفع اليه من أواصر تعاون وتعاضد في مواجهة الأزمات الطارئة في حياة أي من سكان الحارة.

تغييب السلطة كطرف أساسي في أزمة المواطن والمجتمع، وضعنا أثناء متابعة المسلسل أمام عدسة بانورامية التقطت كثيراً من التفاصيل، لكنها لم توظف في السياق الدرامي بشكل صحيح، أو بشكل يساعد على شد الجمهور الى بؤر كاريزمية في السياق الدرامي، بؤر يستطيع المشاهد أن يكتشف من خلالها معاناته هو وتناقضاته، بل وحتى ضعفه وعجزه عن التغيير.

المحور الدرامي الأساسي في مسلسل «الانتظار» تجلى من خلال التناقضات التي عاشتها أسرة وائل «بسام كوسا» الصحافي وزوجته سميرة «يارا صبري» المدرّسة، فهو ابن هذه الحارة، بينما هي ابنة أبو ماهر «سليم كلاكس» رجل الأعمال المعروف في المدينة، هما تزوجا عن حب لكن قسوة الحياة المعيشية فرقت بينهما، اذ انتظرت 15 عاماً لتحظى ببيت الجمعية كي تتخلص من الحارة، لكن دون جدوى، ويأتي حادث السير الذي يتعرض له ابنهما الصغير «مالك» كالقشة التي قصمت ظهر البعير، اذ يصاب بالعمى، فتقرر سميرة ترك البيت مهما كان الثمن، ونفاجأ بشهامة والدها أبو ماهر اذ يحتضنها في منزله ويساعدها في معالجة الصغير حتى يرى النور ثانية.

بينما يكون موقف الزوج وائل بلا دلالة درامية حين يتمسك بالحارة، رافضاً الانتقال مع أسرته الى منزل حماه.

من المساحات التي تلتقطها عدسة الليث حجو البانورامية مساحة كبيرة لعائلة أبو أسعد «عمر حجو» مع زوجته «ضحى الدبس» وبناته الأربع. مروة الكبيرة «سلافة معمار» التي تعمل عند أخوة سميرة «ماهر ووسيم» لكن ماهر «محمد خير السراج» لا يلبث أن يقيم علاقة معها، ويتزوجها بالسر ويؤمن لها منزلاً في المدينة، خوفاً من زوجته «سوسن ميخائيل» وسمعته العائلية، بالمقابل تستمر هي في علاقتها مع وائل «الصحافي» زوج سميرة.

الابنة الثانية بسمة «نسرين طافش» تكتشف مكاناً لها في أحد الملاهي، فتخرج من الحارة لكن ضمن اشكاليات تمنع عودتها اليها. فيما تدخل سعدة «قمر خلف» وهند «تاج حيدر» في علاقات مع بسام وصابر، وهما من الشخصيات الكوميدية في العمل. أربع فتيات يبحثن عن مساحة لهن خارج الحارة، لكن دون هذا الطموح عقبات مادية واجتماعية كثيرة.

الشخصية المحورية في هذا العمل كان «عبود» تيم حسن، فهو مثال اللص الظريف، يسرق في الليل ويوزع هباته في النهار على المحتاجين، يمكن له أن يرتكب كل الموبقات لكنه يتمتع بشهامة لا يكفي انتماؤه للحارة لتبريرها، يصطدم مع الشاويش أو رجل الشرطة نضال سيجري، وعندما يقرر أن يستقر مع حبيبته يُغتال فجأة، ويترك الآخرين كالأيتام.

الكل في هذه الحارة يحلم بمغادرتها، وبالعيش خارج أماكنها الرطبة والمكتظة، باستثناء وائل والذي لم يبرر العمل استثناءه، فيما ينتظر الآخرون هذا الحلم كما ينتظر أحدنا أن يربح ورقة يانصيب مثلاً. ونبقى في الانتظار باستثناء سميرة التي دخلت الحارة خطأً، لكنها هربت منها بمساعدة والدها. البقية ولدوا هنا أو جاؤوا الى هذه الحارة التي أعادت صياغتهم لتلفظهم أمواتاً في النهاية، كما مات عبود، لكن الحارة تستمر وهذه الحيوات الهامشية تستمر، ومما أعطى العمل نكهة مميزة أن كل السفالات التي نعرفها من الادمان الى السرقة وتجارة الممنوعات نعيشها كجزء من حيوات هؤلاء الناس، ونتعرض لها بشكل كوميدي وليس عبر صياغات أخلاقية أو أيديولوجية.

الدعارة، تجارة الدخان المهرب، المسروقات، العلاقات السرية والعلاقات غير الشرعية، يستعرضها لنا كاتبا السيناريو حسن سامي اليوسف ونجيب نصير بشيء من البساطة وبعض الرتوش الكوميدية، لكن بؤرة الصراع الدرامي ظلت رمادية، وهو العطب الأساسي في هذا العمل.

المسألة الثانية أن كل العلاقات التي مرت بنا كانت فاشلة على صعيد بناء علاقات أسرية متينة تحتضن الأولاد وترعاهم، والاستثناء الوحيد كان أبو ماهر من خارج الحارة، في حين سقطت بنات أبو أسعد الأربع كما سقط رجا ابن وائل وسميرة الذي اشتغل مع عبود في بيع وتصريف المسروقات، لكنه تسبب في مقتله لاحقاً.

يارا صبري وبسام كوسا في لقطة من المسلسل (القدس العربي)

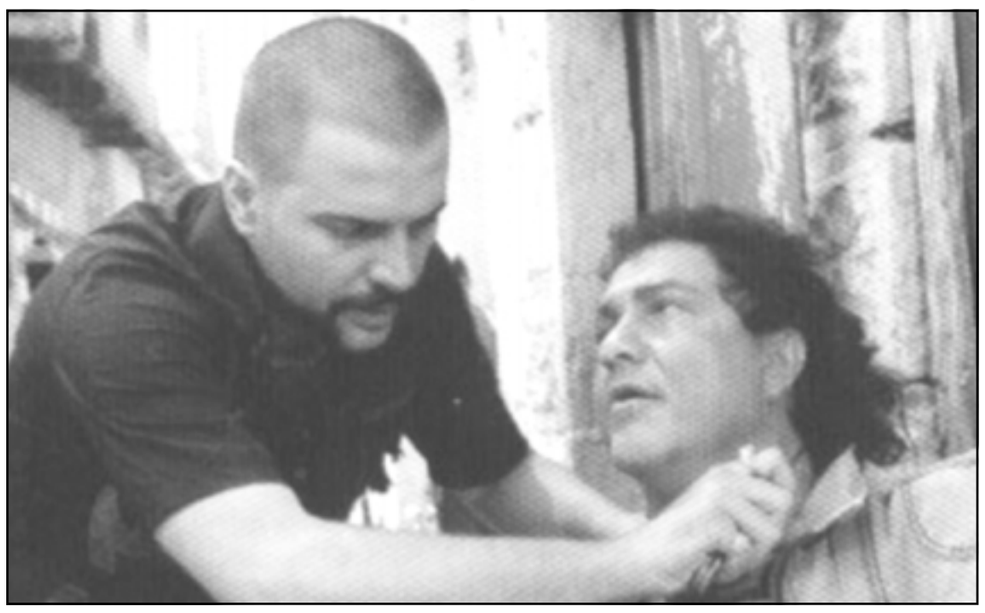

.. ونضال سيجري وتيم حسن في لقطة اخرى (القدس العربي)

ترفض التصالح مع اصالة

أحلام: أنا ونوال الكويتية اتحدنا ضد الأكاذيب!

القاهرة ـ «القدس العربي»:

وصفت المطربة الاماراتية أحلام الوسط الفني بقولها «هو غابة ان لم أظهر قوتي سوف يلتهموني، حاليا يوجد 84% من الوسط الغنائي لا يصلح للغناء من وجهة نظري وهم الذين يقدمون أغنية واحدة فقط ناجحة يعيشون عليها ويحللون الفن ويقيمون الآخرين بكل جرأة، بينما أنا لي في الوسط 14 سنة ولا أستطيع فعل ذلك». أشارت أحلام الى أن المطرب الضعيف يختفي بسرعة من الساحة مهما كانت موهبته ولهذا تظهر قوة شخصيتي في الوسط ولا يستطيع أحد أن يهاجمني بسوء ولأن الجميع يعلمون صعوبة محاربتي فيعملون لي ألف حساب ولا يجرأون أن يتعدوا علي أبدا.

أوضحت أحلام أن هناك من يجد الأمور سهلة أمامه ويعتلي قمة النجومية والشهرة بسرعة بدون تاريخ سابق لهم، ومن يساعدهم على ذلك يضرهم أكثر مما ينفعهم لأنهم يظهرون على حقيقتهم سريعا.

عن اتهام البعض لها أنها متذبذبة في أدائها الغنائي علقت أحلام قائلة: أنا أتأثر في أدائي الغنائي بـ(المود) أو الحالة المزاجية التي أشعر بها في تلك اللحظة، ولهذا قد أغني في وقت بشكل يختلف عن وقت آخر أكون فيه أكثر سعادة وفي «سلطنة» موسيقية، وهذا أمر عادي مع كل المطربين.

هل نجحت في تحقيق حلمها بتوصيل صوتها الى العرب، قالت أحلام: حققت الجزء وأمامي الطريق لأحقق بقية حلمي لأنني أتعامل مع الأغنية العربية بشكل شديد الاحترام وأتمنى توصيلها الى العالم.

حول خلافها مع أصالة قالت: كنت أحب أصالة خاصة في بداياتها وأغاني «لو تعرفوا» ومن قبل ذلك في أغنية «من قصص الشعوب»، وتابعتها بعد ذلك، وفي لقاءاتها الاعلامية شاركتها الحوار هاتفيا، وعندما قابلتها لم أعرفها وحدثت خلافات بيننا حيث تتحدث عني في لقاءاتها وكأنني عدوتها الأولى، وفي مقابلة لها مع المذيع نيشان طلب منها أغنية لي فقدمت أغنية للمطربة نوال الزغبي التي كانت بينهما خلافات وتدخل ناس كثيرون للصلح بيننا مثل الملحن يعقوب الخبيزي، لكنها تعود وتفتعل المشاكل، ومشروع الصلح مع أصالة فاشل ولن أتصالح معها.

استطردت قائلة: أصالة خسرت جمهوري الذي كان يستمع لها بعد أن أخطأت في حقي وأكبر دليل على ذلك كلامها في البرنامج التليفزيوني «مع حبي» تقديم جومانا بوعيد الذي أكدت انها ترغب في الاعتذار لي وهو ما يؤكد أنها مذنبة في حقي.

وعن نفس المشكل في التصريحات التي نشبت من قبل بينها وبين الراحلة ذكرى قالت أحلام: هذا حدث مرة مع الراحلة ذكرى ولم يتكرر، أما أصالة فكررت الاخطاء في حقي.

بالنسبة لخلافها مع المطربة نوال الكويتية قالت أحلام: الصحافة الفنية نشرت كلام كثير على لسان نوال ضدي، وكلام على لساني ضدها، وهذا لم يحدث منا، وأحضرت رقم هاتفها وتحدثت معها ونفت أن يكون ما نشر صدر على لسانها واتفقنا سويا على الرد ضد أي كلام لا نقوله أو ينشر ضدنا، وهذا أوقف كل المحاولات التي تتم من البعض للنيل مني أو من نوال.

احلام (القدس العربي)

يرى ان النصوص الحالية لا تخدم نجوم الكوميديا

علاء مرسي: التخبط والعشوائية يسيطران على الساحة الفنية

علاء مرسي ونشوى مصطفى (القدس العربي)

القاهرة ـ «القدس العربي»

ـ من محمد عاطف:

اكد الفنان علاء مرسي أن نجوم الكوميديا ظلمتهم أفلامهم كثيرا لأن المنتجين يهمهم الربح في المقام الأول، ويرى أن السينما منذ 15 سنة لم تقدم سيناريو لفيلم كوميدي يخدم النجم الكوميدي، بل تقدم السيناريوهات مثل سلق البيض.

قال علاء مرسي: أرفض اعتبار السينما تجارة وفنا، بل هي فن تنتج ربحا، وجيلي هم فنانون موهوبون جدا لكنهم يدخلون في مشاكل التوزيع والعرض وخلافه ويجد النجم انه مرتبط بتوقيت عرض ومن الممكن ألا ينتهي السيناريست من عمله ولكن لابد من عرض الفيلم الذي يؤثر على النجم لوحده ولا يعرف أحد الأسباب التي وراء ذلك.

أضاف: في الوقت الحالي يسمح للوجوه الجديدة للقفز الى البطولات بدون خبرة تساعدهم على النجاح.

أشار علاء الى أن النجم ليس المحرك في الفيلم بل هناك منتج يرغب في طرح العمل في توقيته فقط، الذي يناسبه هو.

ذكر علاء مرسي أن هناك خطة عشوائية في عرض الأفلام لا يوجد تقنين لها، بل خطط لانجاح فيلم، وفشل آخر.

حول ابتعاده عن البطولة المطلقة قال: لا أفكر في البطولة الا بعد وجود سيناريو جيد، واذا كنت محتلا الدور الثاني أو الثالث أهلا وسهلا المهم ما هو الدور.

ويؤكد علاء مرسي أنه لا أحد يفهم السينما جيدا، الأمور تسير في حالة من التخبط والعشوائية، حتى متعة الفرجة انخفضت بسبب كثرة المجمعات السينمائية التي أصبحت مثل شاشات التليفزيون الكبيرة، والمتعة الحقيقية هي سينما «الحيطة» التي كنا نشاهدها زمان وتقدم لنا الصورة العريضة الممتعة على الشاشة الكبيرة.

أشار أيضا علاء مرسي الى أن السينما في العالم يجري تطوير دائم لها في شكل الصورة حتى تختلف عن صورة التليفزيون ويكون لها بريقها الذي يجذب الجمهور ولهذا نرى الأفلام العالمية تحقق الملايين مثلا حاليا في أمريكا نجح الممثل ليوناردو دي كابريو الذي كان أول ظهوره وبطولته في فيلم «تيتانيك» في أحدث أفلامه «الراحل» الذي حقق في دور العرض السينمائي بأمريكا مئة مليون دولار، وفي دور العرض في بريطانيا 40 مليون جنيه استرليني وهناك بقية أنحاء العالم لم يتم حصد ايراداته بعد، وهذا نتيجة مباشرة لموضوع فني جديد وصورة سينمائية متطورة، وهي أمور غير متوافرة عندنا.

فضائيات

مفيد فوزي وهيكل يتبادلان الأدوار!

د. عماد عبد الرازق *

خليك بالبيت.. واقفل التلفزيون!

■ يعجبني مذيع قناة «المستقبل» اللبناني زاهي وهبة خاصة بسبب ما اتسم به أداؤه اثناء الحرب الأخيرة من اتزان وموضوعية بعيدا عن التشنج والطائفية. ومن البرامج الجيدة التي يقدمها زاهي «خليك بالبيت». وهو مذيع متميز أولا لأنه لا يطفح بالنرجسية التي تنتفخ بها أوداج مذيعي ومقدمي برامج مثل أولئك الذين نراهم مثلا في قناة «الجزيرة» وليس في حالة غرام وولَه بنفسه كما هو الحال مع العديد من مذيعي القنوات اللبنانية الذين يريدون الكاميرا أن تتسمر أمام وجوههم أو وجوههن الغارقة تحت أطنان الماكياج أو عمليات الشفط والنفخ والترقيع المسماة تجاوزا تجميلا. كما أنه يتميز بالهدوء والاتزان دون ان يقع في فخ البلادة وايقاع السلاحف الذي ينفرد به مذيعو ومذيعات القنوات المصرية من العواجيز، أو ما يتمتع به الصغار من تفاهة وسطحية. وهو أيضا محاور جيد يعرف كيف يعتصر الاجابات من ضيوفه دون أن يقاطعهم عشرات المرات أو يعاملهم بوقاحة وعدوانية وصفاقة تحت اسم انتزاع «الحثيئة منهن». لكن يؤسفني أن أقول ان التوفيق جانبه كثيرا في الحلقة الأخيرة من برنامجه «خليك بالبيت» التي استضاف فيها مفيد فوزي.

البداية كانت مثيرة وواعدة، ومنينا النفس بأننا سنرى مباراة للديوك أو الردح التليفزيوني كما يحدث كثيرا في «الاتجاه المعاكس» حين يتنابز الضيوف الأشاوس بالألقاب الامبريالية والقومجية والتكفيرية. فقد سعى مذيع البرنامج ان يستكشف «الحثيئة» وراء المعركة التي اندلعت على صفحات الجرائد بين مفيد فوزي والداعية «الكوول» جدا، الشيخ الشاب، ساحر الألباب، وفاتن عقول الشباب من المؤمنين والمؤمنات الأحباب: عمرو خالد. كل هذه الألقاب لم أخلعها عليه اعتباطا ولا نفاقا او تزلفا، فهي تأتي هنا في صميم الموضوع أو الخناقة الصحافية. فقد احتج عمرو خالد على خبر نسب الى مفيد فوزي في صحيفة «الحياة» اتهم فيه مفيد عمرو بأنه «يجيش الشباب». فياللهول؟! ولكن خاب أملي وأمل المشاهدين.

فالمواجهة التي رتبها المذيع بين الرجلين لم تسفر عن شيء يذكر ولا ـ بوجه خاص ـ عن اجلاء «الحثيئة». فقد أنكر مفيد فوزي التهمة، وأرغد وأزبد ونفى تماما أي صلة له بالخبر المزعوم، وراح يطلق من جعبته تنويعة الألفاظ المستهلكة التي يستخدمها في طقاطيقه الصحافية من قبيل «أتحدى.. وأنا قلت.. ولم أقل .. ولم يحدث..» ويستشهد بأدلة لا نعرف شيئا عن مصداقيتها كاتصاله بالصحيفة والاستعلام عن الصحافي الذي كتب الخبر وما الى ذلك. أول ما في الأمر أن الضيفين كانا مصممين على ألا يتشاجرا، وبالأحرى ألا يواجه أحدهما الآخر «بالحثيئة». فعمرو خالد رجل يقطر بالتسامح والعفو والطيبة والغفران وسائر مكارم الأخلاق، وهو صاحب رسالة يريد من الناس جميعا ان يحبوا بعضهم البعض حتى أولئك الدانيماركيين الذين نشروا الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للاسلام حتى أنه أخذ على عاتقه أن يسافر اليهم ليقنعهم بالحسنى ويردهم عن غيهم، وربما اقناعهم بالتحول الى الاسلام في نهاية المطاف. وقد باءت مهمته بالفشل الذريع طبعا. فرجل مثل هذا لن يرد الاساءة الا بالحسنى وبالدعوات المباركات لمرتكبها ان يغفر الله له ما تقدم وما تأخر من اساءات. أما مفيد فوزي فهو آخر من يعترف بخطأ أو من يجرؤ على مصارحة أحد برأيه الحقيقي فيه، الا اذا كان من الراحلين عن هذه الدنيا أو من المستضعفين في الأرض، يعني ليس نجما ولا نجمة ولا رجل سياسة او صاحب نفوذ ومال من الذين يولون الولائم ويمدون السهرات والليالي الملاح لأهالي الفن والصحافة ومن لف لفهم من المرتزقة والمتنطعين والهبيشة. وهكذا انتهت المواجهة كحدث عربي أصيل، بتبويس اللحى والربت على الأكتاف على طريقة الزعماء العرب في القمم العربية الفاشلة. وتعاهد الاثنان من اجل نشر الخير والمحبة في ربوع المعمورة. أما أنتم يا مثيري الفتن ومروجي الشائعات: موتوا بغيظكم.

بعد ذلك كان لا بد للسهرة أن تمتد مع مفيد فوزي.

فمن هو السيد اللامفيد ؟ هذا رجل كل انجازه يتلخص في تلك الطقاطيق الصحافية التي كان يفبركها في مجلة صباح الخير تحت ادعاء النقد الفني وهي لم تكن لتخرج عن كونها دعايات مبطنة ـ وأحيانا مفضوحة ـ تصب كلها في خانة المجاملات والمداهنات التي تحكم علاقات الوسط الفني بالوسط الصحافي في مصر المحروسة. (هناك من يسميه باسم حركي في الوسط الفني هو «مستفيد فوري»). وقد قضى الشطر الأعظم من حياته يروج لفنانين وفنانات بعينهم في مقدمتهم بالطبع عبد الحليم حافظ الذي نصب نفسه متحدثا باسمه ثم مؤرخا له بعد وفاته. يستذكر مفيد فوزي كلمة قالها له الكاتب الراحل أحمد بهاء الدين في مطلع شبابه «أنت عندك معلومات بس معندكش أسلوب»، وللأسف الشديد وبسبب هذه النصيحة قرر الرجل أن يخترع لنفسه هذا الأسلوب اللزج الذي يقطر منه الادعاء والتنطع والطافح بأحكام قاطعة جامعة مانعة يطلقها كما لو انها أعمدة الحكمة السبعة. وانظروا ماذا قال عن بعض الفنانين والفنانات ردا على أسئلة المذيع:

نانسي عجرم.. الجميلة البسكويتة ـ نبيلة عبيد .. بسكويتة من نوع آخر (ربما بسكويتة قديمة تيبست بفعل عمليات الشد والمط) ـ يسرا.. عود الحطب الذي أحبه ـ جورج قرداحي.. معجباني في جمال العطور. فلما استفسر منه المذيع ماذا يقصد قال بثقة العالم الفطحل «أيوه طبعا لأني شميت عبد الحليم حافظ»! ألا يعتبر هذا اجتراحا فهذا يؤشر بمولد الناقد «الشمام»؟ لا حول ولا قوة الا بالله. فاذا ما استعصى عليكم فهم هذه الأحجية حاولوا أن تفهموا ما قاله عن عبد الحليم «خط الدفاع الأول: الفن، الثاني: الذكاء، الثالث: المرض» أو حتى نقطة ضعف هذه الشخصية الفذة، ترى ماذا عساها تكون؟ الأحذية، نعم لأنه كان فقيرا في صغره ولم يكن لديه حذاء، لذلك كثيرا ما تراه يتسكع امام واجهات محلات الأحذية من باب التأمل أو اشباع النهم الذي لا يرتوي للأحذية.

أما اللحظة التي تفوق فيها الرجل على نفسه لزوجة وتنطعا فحانت حين جاء ذكر محمد حسنين هيكل، فاذا بالصحافي المخضرم ينتفض واقفا على نحو هستيري حتى أن المذيع ظن أن ثعبانا لدغه أو اصابه مس ما، وحينما أخبره أنه انما يقف احتراما واجلالا واكبارا للصحافي «الأستاذ»، شاركه زاهي وهبي للأسف هذا الهراء ووقف بدوره.

بث مباشر من «مصطبة» الجزيرة

■ لكنني راجعت نفسي بعد قليل من التأمل واكتشفت أن هناك ما يجمع بين الرجلين على نحو ما. فهيكل هو الرجل الذي بلغ أوج شهرته وسطوته حين جسد نموذج صحافي السلطة الملاكي في عهد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر من خلال مقاله الأسبوعي في الأهرام الذي كان يعنونه «بصراحة». وهو الرجل الذي خلع عليه حواريوه وجوقة مريدوه ألقاب الفخامة والجلالة مثل «الأستاذ» و«المفكر الكبير»، هاهو يتحول في نهاية العمر الى «حكواتي» ينفرد بالمشاهدين على قناة الجزيرة لساعات، يروي لهم حكايات مهلهلة عن «أيام زمان» (لا تهم أحدا)، يقفز بين الأشخاص والأحداث دون رابط أو ضابط ويضيع في التفاصيل وتضيع منه خيوط الحكاية، والمشاهدون، أو من تبقى منهم لم يغلبه النعاس أو يغير القناة حبذا لو أغلق التليفزيون أو حتى ألقى به من النافذة. والمسألة في النهاية لا تخرج عن كونها «جلسات طق حنك» على الطريقة اللبنانية، أو «قعدات المصطبة» في الريف المصري التي كان يحلو للرئيس المصري الراحل أنور السادات ان يستحضرها في أحاديثه التليفزيونية والتي لاشك يعرفها هيكل جيدا بحكم اصوله الريفية، يتكلم فيها الرجل على هواه بلا توقف دون أن يراجعه أو يناقشه أحد. ولا يحسبن أحدكم أن انفراد هيكل بالمشاهدين محض صدفة، كلا بالطبع فهذا المشهد التليفزيوني الفاشل ليس سوى التعبير الفاضح عن البارانويا التي يعيشها «الأستاذ»، فهو لا يقبل أبدا أن يظهر على الشاشة في مواجهة أي صحافي آخر، ومن تراه هذا الشخص الذي يمكن ان يقارع الرجل الذي عقمت بطون الأمهات ان يلدن مثله. ربما الاستثناء الوحيد هو أن يكون صحافيا أو متحدثا «خواجة» من بلاد الفرنجة، مثل ريتشارد هاس الذي ظهر معه هيكل في برنامج واحد على قناة الجزيرة انترناشيونال. اما الصحافيون العرب فالعلاقة الوحيدة التي تربطه بأي منهم هي أن يكونوا من مريديه والمسبحين بأفضاله ونعمائه وأياديه البيضاء على الأمة العربية. الطامة الكبرى لا تقف عن حدود نقل تقاليد «المصطبة» لشاشة التليفزيون في اجتراح فذ يؤكد تلاحم «الأصالة والمعاصرة» واستيعاب الثقافة الشعبية لتحديات الحداثة، ولا فيما يتلوه الرجل من حواديت مملة، مشتتة ومهلهلة لا تهم أحدا، بل فيما لا يقوله. فمن المستحيل ان تجده يتناول الأوضاع السياسية الحالية في مصر بالنقد المباشر، وهو لا يمكن ان يطال أعمدة النظام أو مراكز القوة فيه بكلمة سوء واحدة. ولا يضيع الفرصة اذا ما واتته في ان يبعث برسائل «تدليك مشاعر» مغلفة بعبارات لزجة وملتبسة جدا (وهي صفة أخرى تجمعه بمفيد فوزي) لرأس النظام أو الوريث المرتقب، حتى لا يمس النظام «الهيكل المقدس» الذي شيده لنفسه ليتعبد فيه مريدوه وخلصاؤه من أتباع الديانة الهيكلية المزيفة.

فأي نوع من البرامج التليفزيونية هذا؟ وهل أعيت «الجزيرة» الحيل ولم تجد شيئا لتعبئة الهواء به أفضل من هذا المونولوج الطويل المتثائب المل؟ أليس في مكتبة الجزيرة اي أفلام لميكي ماوس، أو توم اند جيري، أو اعلانات منظفات صناعية، او حتى أغنية لهيفاء وهبي؟ أقترح على «الجزيرة» أن تغير «البرومو» للبرنامج فيصبح مثلا «مع هيكل.. على المصطبة» أو ان تنوه المذيعة بموعد البرنامج قائلة «وألان ننتقل الى استديوهاتنا في المصطبة، مع بث مباشر من المقر الرئيسي لصاحب المصطبة الأستاذ وحيد عصره وفريد زمانه في حوار بينه وبين نفسه»، وأن ترفق التنويه بتحذير معنون باللون الأحمر يقول ان الجزيرة غير مسؤولة عن أي أعراض قد تصيب المشاهدين من جراء متابعة جلسات المصطبة، وعلى المتضرر عدم اللجوء للقضاء، لأن القضاء هو الأستاذ نفسه والقدر أن تشاهدوه رغما عن أنوفكم. واذا اعتقد أحد أن الطامة تكمن في كونه يترك وحده ينفرد بالميكروفون فيتوه وحيدا ويتيه فخرا بحواديته، فهو مخطىء حقا، اذ يكفي أن تشاهد حواره الطويل المستطيل مع محمد كريشان. يستحيل ان يبدأ الرجل فكرة ويكملها، بل يقفز من جمل مبتورة وعبارات متقاطعة حتى أن المذيع بالغ التهذيب والرقة لا يجد بدا من ايقافه بلباقة ليرده عن الشطط أو المضي في طريق لولبي من الحواديت الناقصة المتناسلة. كان الله في عون محمد كريشان. في الوجه الآخر للصورة، نجد مفيد فوزي الذي كان طوال حياته حكواتي الفنانين والفنانات في الصحافة والتليفزيون، وهو الآن وقد امتد به مشوار العمر يستعير عباءة المفكر ويتبختر في اهاب الفيلسوف فيطلق الأحكام القاطعة الجامعة المانعة، ويلقي بها الينا كما لو كانت أقوالا مأثورة لكونفوشيوس أو سقراط زمانه، من نفس نوعية الطقاطيق القديمة، وهذا بعض ما جادت به قريحته الفيلسوفة في البرنامج:

المطرب: صيغة. المفكر: وجهة نظر. الكاتب: أسلوب، المذيع: أسلوب.

وهكذا انتهى هيكل من حيث بدأ مفيد فوزي، مع فارق اساسي أن مفيد فوزي يكون مسليا بعض الأحيان، مستفزا، باعثا على الاشمئناط، والاستياء والقرف.. معظم الأحيان.

ان استمرار هذه الشخصيات المتحفية في لعب دور حتى الآن هو دليل فاضح على تدهور ثقافة مولعة بصنع وتمجيد أبطال، أكل عليهم الزمن وشرب، وتجاوزتهم الأحداث ومع ذلك لايزالون يرددون مقولاتهم المهترئة.

* ناقد من مصر يقيم في امريكا

وارضيات